

تحدثنا فيما سبق عن التفسير بالرأي في مبحث اقسام التفسير

اختار الله سبحانه نبيه الخاتم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عربيا ، وكان من السنن ان يكون كتابه بلسان قومه ، جريا على سنة الله في ارسال الرسل كما قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) قال الشاطبي " أن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة ، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة ، لأن الله تعالى يقول: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}

وقال: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} . قال تعالى: { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا } . { قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } { وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ } وقال: {لِسَانِ الَّذِي يُلْجِدُونَ إِلَيْهِ أُعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} وقال: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أُعْجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَبِي وَعَرَبِيٌّ} { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا } إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي ولسان العرب ، لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم ، فمن أراد تفهمه ، فمن جهة لسان العرب يفهم ، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة "

قال ابن فارس (ت: ٣٩٥) " إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب ، حتى لا غناء بأحد منهم عنه . وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عربي . فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جل وعز ، وما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب - لم يجر من العلم باللغة بُدًا "

قال ابن قتيبة " وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره ، واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب ، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات؛ فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان ، واتساع المجال ، ما أوتيته العرب خصيصة من الله ، لما أرهصه في الرسول ، وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب ، فجعله علمه ، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه "

وقد شدد العلماء النكير على من اقدم على تفسير النص القرآني ولم يكن علما بلغات العرب

قال أبو الوليد ابن رشد(ت:٥٢٠) في جوابه له عمن قال : إنه لا يحتاج إلى لسان العرب ما نصه : " هذا جاهل فليصرف عن ذلك وليتب منه فإنه لا يصح شيء من أمور الديانة والإسلام إلا بلسان العرب يقول الله تعالى (بلسان عربي مبين) إلا أن يرى أنه قال ذلك لحبث في دينه فيؤدبه الإمام على قوله ذلك بحسب ما يرى فقد قال عظيمًا "

اما البدايات الاولى لظهور المنهج اللغوي كانت على يد ابن عباس (ت:٦٨) وهو اول من اعتمد المنهج اللغوي في تفسيره بعدد من آيات القران الكريم ،وقد سأله نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر تفسير عدد من الآيات الكريمة واشترطا ان يأتيها بما يؤيد ذلك من كلام العرب وقصة نافع وابن عباس ذكرها السيوطي فقال " عن حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال: بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد أكتنفته الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال: نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به: فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ} ، قال العزون: الحلق الرقاق، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤا يهرعون إليه حت

يكونوا حول منبره عزينا

وتكمن أهمية اللغة في فهم القران وتفسيره من خلال الاتي :

١- ان من اسباب الخطأ في التفسير ،ومن عوامل الانحراف في فهم الآيات القرآنية ،ومن دواعي ظهور الفهومات الزائفة للنصوص الشرعية ،الضعف في اللسان العربي قراءة وكتابة ،وفهيا ،وتطبيقا والجهل بقواعده من التصريف ،والنحو ،والاشتقاق ،والاعراب ،والمعاني ،والبيان

٢- تعد معرفة اللغة العربية من اهم الادوات لفهم القران الكريم وتفسيره ،اذ القران نزل باللسان العربي

٣- من خلال اللغة العربية نفهم مقاصد العرب قال ابن عاشور " أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم سواء حصلت تلك المعرفة ،بالسجية والسليقة ،كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيم ،أم حصلت بالتلقي والتعلم كالمعرفة الحاصلة للمولدين الذين شافهوا بقية العرب ومارسوهم ،والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها. إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه ، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم ، لمن ليس بعربي بالسليقة ، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي ، وهي: متن اللغة ، والتصريف ، والنحو ، والمعاني ، والبيان. ومن

وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم، ويدخل في ذلك ما يجري مجرى التمثيل والاستئناس للتفسير من أفهام أهل اللسان أنفسهم لمعاني آيات غير واضحة الدلالة عند المولدين"

ومن الامثلة على تفسير القران باللغة

قوله عز وجل : (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ) فيه ستة أوجه :

أحدها : وجه الأرض ، والعرب تسمي وجه الأرض تَنْوَرًا ، قاله ابن عباس

الثاني : أن التنور العين التي بالجزيرة (عين وردة) ، رواه عكرمة . الثالث : أنه مسجد بالكوفة من قبل أبواب كندة ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه . الرابع : أن التنور ما زاد على وجه الأرض فأشرف منها ، قاله قتادة .

الخامس : أنه التنور الذي يخبز فيه ، قيل له : إذا رأيت الماء يفور منه فاركب أنت ومن معك ، قاله مجاهد .

قال الحسن : كان تنوراً من حجارة وكان لحواء ثم صار لنوح ، وقال مقاتل : فاز من أقصى دار نوح بعين وردة من أرض الشام

السادس : أن التنور هو تنوير الصبح ، من قولهم : نور الصبح تنويراً ، وهو مروى عن علي رضي الله عنه"

وربح الطبري احد تلك الاقوال معتمدا على كلام العرب فقال " وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله:(التنور) ، قول من قال: "هو التنور الذي يخبز فيه" ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب ، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به ، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به"